محاضرة رقم: ٩	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	اللغة العربية
اسم المادة باللغة العربية	نصوص قديمة
اسم المادة باللغة الانكليزية	Old texts
المرحلة	الثانية
السنة الدراسية	٢٠٢٠-٢٠٢١
الفصل الدراسي	الاول
المحاضر	م.د فراس محمد مزعل
عنوان المحاضرة باللغة العربية	الإمتاع المؤانسة
عنوان المحاضرة باللغة الانكليزية	Enjoyment and sociability
المراجع والمصادر	الإمتاع والمؤانسة ، تأليف أبي حيان التوحيدي
	كتاب الوافي بالوفيات

المحتوى المحاضرة...

كتاب الإمتاع والمؤانسة

أولاً: التعريف بصاحب الكتاب

أبو حيان التوحيدي

هو أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي الصوفي. اختلف المؤرخون في أصله بين شيرازي أو نيسابوري، لكنهم أجمعوا على أنه فارسي الأصل، ولد التوحيدي في بغداد سنة ٣١٢هـ وبها نشأ. وأما نسبته للتوحيدي، فقد ذكر ابن خلكان أنه يقال إن أبا التوحيدي كان يبيع التوحيد ببغداد، وهو نوع من التمر بالعراق ، تلقى التوحيدي علوم ومعارف في مكان نشأته – بغداد – وذهب إلى البصرة وتلقى العلوم على أيدي علماء البصرة، ومنهم: أبو سعيد السيرافي، والقاضي أبي حامد المروروذي، وسمع الحديث من أبي بكر الشاني. ومن العلماء الفلاسفة وعلى رأسهم أبو سليمان المنطقي وأبو محمد المقدسي وعلي بن عيسى الرماني، اختلف في وفاته، لكن أقرب ما يكون أنه توفي سنة ٤٠٣هـ.

يقول محقق الكتاب أحمد أمين فيه :

أبو حيان التوحيدي من أولئك العلماء الأدباء الذين أُصيبوا في حياتهم بالبؤس والشقاء ، وظل حياته يجاهد ويكافح في التأليف واحتراف الوِراقة والنَسخْ وجوْب الأقطار، يقصد الأمراء والوزراء لعلهم يكافئون علمه وأدبه ، فلم يحظَ من كل ذلك بطائل ، وعاش كما يقول في بعض كتبه على نحو أربعين درهماً في الشهر ، ولم يكن حظه بعد وفاته بأحسن من حظه في حياته ، فقد عَجِبَ ياقوت الحموي من أن مؤرخي الرجال لم يترجموا له مع أنه(فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة) ، ولم نعثر فيما بين أيدينا من الكتب على ترجمة وافية لحياته إلا نُتفًا قصيرة وأخبارًا ضئيلة وأراد هو أن ينتقم من الناس الذين كفروا صنيعه وجحدوا علمه وأدبه ، فأحرق في آخر أيامه كتبه وقال: (إني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ، ولعقد الرياسة بينهم ، ولمد الجاه عندهم ، فحُرمتُ ذلك كله ...ولقد اضطُرِرت بينهم بعد العشرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء ، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة ، وإلى بيع الدين والمروءة ، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق ، وإلى ما لا يحسن بالحُرِ أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الألم.)

قال السيوطي : (ولعل النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كُتِبت عنه في حياته وخرجت قبل حرقها.)

وكان من شؤمه أنه لم يبقَ من كتبه التي ألفها – وتبلغ نحو العشرين – إلا القليل ، ولم يطبع منها إلا المقابسات ، والصداقة والصديق، ورسالة في العلوم . وما بقي منها مخطوطًا بل وما طُبع منها مملوء بالتحريف والتصحيف إلى حد يقلل من قيمتها والانتفاع بها.

ولعل أقوم كتبه وأنفعها وأمتعها كتابه (الإمتاع والمؤانسة) والذي يقع في ثلاثة أجزاء.

قصة الكتاب:

لتأليف أبي حيان التوحيدي هذا الكتاب قصة ممتعة ، ذلك أن أبا الوفاء المهندس كان صديقًا لأبي حيان وللوزير أبي عبد الله العارض ، فقرب أبو الوفاء أبا حيان من الوزير ووصله به ومدحه عنده، حتى جعل الوزير أبا حيان من سُمَّاره ، فسامره سبعاً وثلاثين ليلة كان يحادثه فيها ويطرح الوزير عليه أسئلة في مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيان.

ثم طلب أبو الوفاء من أبي حيان أن يقص عليه كل ما دار بينه وبين الوزير من حديث، وذكَّره بنعمته عليه في وصله بالوزير ، فأجاب أبو حيان طلب أبي الوفاء ونزل على حكمه ، وفضل أن يدون ذلك في كتاب يشتمل على كل ما دار بينه وبين الوزير .

المعنى اللغوي والمعجمي للكتاب :

إذا وقفنا على عتبة العنوان نجد أن أبا حيان يزاوج بين "الإمتاع" و"المؤانسة". وهو ثنائي العنوان، ولهذا العنوان مدلوله على نفس المؤلف، وذلك لتؤنس التوحيدي من العزلة التي عاشها وحيداً، فأراد لكتبه ألا تبقى وحيدة مثل حاله حتى وفاته وإن نظرنا للعنوان من نظرة معجمية، فالإمتاع من: مَتَع الرجل ومَتُعَ، بمعنى جاد وظرف. وقيل كل ما جاء فقدْ متع وهو ماتع، والماتع من كل شيء البالغ في الجودة الغاية في بابه.

أما المؤانسة، فهي خلاف الوحشة، والأُنس، والإنسُ للطمأنينة. وفي بعض الكلام: إذا جاء الليل استأنس كلُّ وحشي، واستوحش كل إنسي.

ومن خلال تلك المعاني للعنوان، دار الكتاب ضمن المتعة والأنس، وجلب المتعة وإبعاد الوحشة.

الاجناس التي ينطوي عليها الكتاب

١-الشعر
٢-النثر (الحكاية ، الخطبة).
٣-الحوار إذ اعتمد الكاتب على الحوار في جميع لياليه ، فالكتاب قائم على الحوار بين شخصيتين .

وصف الكتاب:

قسَّم أبو حيان كتابه إلى ليالٍ ، فكان يدوِّن في كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير على طريقة (قال لي وسألني وقلت له وأجبته) وكان الذي يقترح الموضوع دائمًا هو الوزير أولاً هو الوزير يقترح أولاً موضوعًا حسبما اتفق وينتظر الاجابة ، فإذا أجاب أبو حيان أثارت إجابته أفكارًا ومسائل عند الوزير فيستطرد إليها ويسأله عنها ، فقد يسأله سؤلاً يأتي في أثناء الإجابة عنه ذكر لابن عباد أو ابن العميد أو أبي سليمان المنطقي ، فيسأله الوزير عنهم وعن رأيه فيهم . وهكذا يستطرد من باب لباب ،حتى إذا انتهى المجلس كان الوزير يسأله غالبًا أن يأتيه بطرفة من الطرائف يسميها غالبًا ((مُلحة الوداع)) فيقول الوزير مثلاً: إن الليل قد دنا من فجره ، هات ملحة الوداع . وهذه الملحة تكون عادة نادرة لطيفة أو أبياتًا رقيقة، وأحيانًا يقترح الوزير أن تكون ملحة الوداع شعرًا بدويًّا يشمُ منه رائحة الشيح والقصيوم.
الشيح والقصيوم : نبات عشبي بري لأوراقه رائحة قوية وطيبة.

موضوعات الكتاب

موضوعات كتاب الامتاع والمؤانسة كثيرة ومتنوعة تنوعًا ظريفًا لا تخضع لترتيب ولا تبويب ، إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث ، حتى نجد في الكتاب مسائل من كل علم وفن، فأدب وفلسفة وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر وأدبائه وعلمائه وتصوير للعادات واحاديث المجالس . كما أن للكتاب فوائد كثيرة لما يحمله من قيمة تاريخية عن الحياة السياسية للدولة ، فهو يصف كثيراً حالة الشعب في عصره وموقفهم من الامراء والملوك ، كما أنه يعرض أحياناً للحياة الاجتماعية الشعبية. أما إذا انتقلنا إلى مادة الكتاب نجد أن المؤلف قسَّم كتابه إلى لياٍل ذاكراً في كل ليلة ما دار بينه وما بين الوزير على سبيل الحديث والحوار يجعله شيقًا ، أو على حد تعبيره هو (ممتعًا مؤنسًا) فهو أشبه شيء بألف ليلة وليلة.

الفرق بين ألف ليلة وليلة و الامتاع والمؤانسة :

إن وجه التشابه بين ألف ليلة وليلة وكتاب الامتاع والمؤانسة أن قصص الكتابين مقسمة إلى لياٍل في شكل قصصي، أما وجه الاختلاف أن ليالي ألف ليلة وليلة كانت للهو والطرب وكيد النساء ولعب الغرام ، أما ليالي الامتاع والمؤانسة كانت لياٍل للفلاسفة والمفكرين والادباء ، إذ يتعرض فيها صاحب الكتاب لأهم مشاكل الفلاسفة كالبحث في الروح والعقل والقضاء والقدر ، كما أن حظ الخيال في الامتاع والمؤانسة أقل من حظه في ألف ليلة وليلة.